يواصل الكاتب الأستاذ فتح بزيو نشر حلقات جديةٍ من سلسلةٍ (بنغازي وعبث الكوازي كتبت بعد الثورة وفتح الله بزيو أحد المناضلين الشرفاء المتكلمين في زمن الصمت وقد عاد بعد الثورة ليعيش في وطنه بعد حياة قضى معظمها مغتربا معارضا لم يهادن وننوه إلى أن حقوق الطبع وإعادة النشر للكاتب وحده دون غيره.

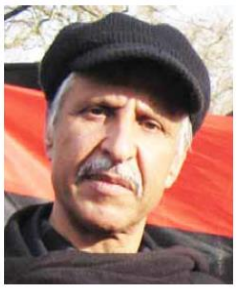

بنغازي وعبث الكوازي ((الحلقة الثامنة والعشرون)) (3)

فتح الله ابزيو

محمد بن غلبون .. الرصاصة التي رسمت بداية المقاومة

في خضم سرد هذه الخواطر المتناثرة أريد أن أتحدث عن حوارا هاتفي دار بيني وبين الأديب الراحل خليفة الفاخري عندما كان يعمل مستشارا ثقافيا بالسفارة الليبية بكوبنهاجن، وليعلم القارىء الكريم انني دائما في خواطري المتواضعة أحاول جاهدا أن لا أكتب عن ما دارمن حكايات بيني وبين الكثير من الأصدقاء الذين انتقلوا الى رحمة الله إلا واستشهد، بشهود أحياء لإعطاء الموضوع مصداقيّة ويستطيع أيّ أحد من الأحياء أطال الله فى اعمارهم أن ينفي ماذكرته أو يُكذبه، لأنني أؤمن جازمًا بأنّ الكلمة الصادقة ظلّ يستظل بها الصادقون، في مواسم إزدحام نفاق الكلمات المتخنطة التى تملأ أركان هذا العالم الموبوء نفاقا، وجورا، وإبتذالا، وهنا أشهد الله الذى مُلاقِيه لامحالة ذات يوم عن ما دار بيني وبين الراحل العزيز خليفة الفاخرى، في تلك المكالمة.

الأديب خليفة الفاخري

من حين لآخر كنت أبعث للأستاذ خليفة منشورات ومطبوعات المعارضة الليبيّة الصادرة في لندن الى منزله في كوبنهاجن، وكان متابعنا لها بدقة، ويُبدي بعض الملاحظات وكنت انقل ملاحظاته، لأصحاب الشأن دون أن أذكر إسمه خوفنا عليه من أن يتسرب إسمه ويتعرض لمكروه، ففي إحدى الإتصالات الهاتفية أراد أن يُعلمني بوجود صديقه محمد بن غلبون، في مدينة مانشيستر واستقراره هناك، فأخبرته بأنني أعلم ذلك، وقد إلتقيته في لندن، فأشار إليّ بأنّ أجمع محمد بن غلبون بصديقنا المشترك الأستاذ الراحل محمد حسين القزيري، فسألته متعمدا، لماذا يا « جنقي »؟ و« جنقي » لقب للأستاذ خليفة الفاخري يعرفه كل أبناء جيله، والكثير من أبناء مدينة بنغازي وقد سبق لي أنْ عَرّفت لقب « جنقي » في احدى المقالات السابقة، في سنوات مضت.

أ. هشام بن غلبون

أثنّى الأستاذ خليفة الفاخري كثيرا على محمد بن غلبون وطلب مني، ومن الأستاذ الراحل محمد حسين القزيري التعاون، وتقديم الدعم اللازم لكل ماله علاقة بالعمل الوطني، وأضاف الأستاذ خليفة الفاخري قائلا إنّ محمد بن غلبون شهم ثم أضاف بلغة« إعيال البلاد » (راهو ذكر)، وهذا بحكم علاقتي الوطيدة به ومعرفتي له عن كثب، وبالفعل لم تخب فراسة الأستاذ خليفة الفاخري في صديقه، فقد أعلن عام 1981 م عن تأسيس الإتحاد الدستوري الليبي بشعاراته الوطنيّة الثلاثة علم الإستقلال، ودستور الإستقلال، وباني دولة الإستقلال سيدي محمد ادريس السنوسي رضوان الله عليه.

عودا على بدء، ففي شهر فبراير من هذا العام تلقيت دعوة عشاء من العزيز هشام بن غلبون، في بيت شقيقه الشيخ محمد بن غلبون، بمدينة مانشيستر وحدد لي تاريخ « العزومة » فقبلت الدعوة شاكرا، لكن يوم «العزومة» كنت (خارج نطاق التغطيّة) على طريقة شركتي المدار، وليبيانا)). فقد منعتني ظروفا قاهرة عن تلبية تلك الدعوة، وقبل منتصف تلك الليلة بدأت العديد من المكالمات الهاتفية تنهال عليّ من الأصدقاء أبناء الجاليّة الليبيّة، في بريطانيا ممن حضروا تلك « العزومة » وكانت جميع تلك المكالمات متطابقة، في نقل وقائع تلك« العزومة »ومن بين تلك المكالمات أسرد ما رواه لي الحاج أحمد علي ابزيو الذى كان أحد المدعوين والذى تربطه علاقة إحترام، وتقدير متبادل مع الشيخ محمد بن غلبون، قال: الحاج أحمد علي ابزيو.

جمعت « مربوعة » الشيخ محمد بن غلبون قرابة الثلاثين رَجُلا، وكنّا جميعًا لا نعرف مناسبة هذه «العزومة» إلى أنْ وقف الشيخ محمد قبل تناول الطعام وقال: هذه«العزومة» على شرف الأستاذ سمير يونس بن علي الدرسي، الذى حمّلته هذه المهمة صعبة التي لايقوى عليها إلا الرّجال من أهل التقوى، والعزائم، وقد كان بفضل الله أهلا لهذه المهمة العسيرة التى يسّرها الله له، وللخيّرين الأخرين الذين وقفوا معه، لإتمامها على أكمل وجه، وأضاف الشيخ بن غلبون مخاطبا ضيوفه أود هذه الليلة أنْ أبوّح لحضراتكم بشئ حدث عام 74 م لم يسمعه مني احد طوال هذه السنين سوى شقيقي هشام.

إنّ الرصاصات التى أُطلقت على بيت طالبات الجامعة الليبية في بنغازي، بشارع الإستقلال فجر يوم 8 سبتمبر عام 74 م والتى أدت الى موت الجندي المرحوم محمد حسين عبدالباقي الدرسي كنت أنا من قام بإطلاقها، لمحاولة إنتزاع شقيقتي التى شملها قانون التجنيد الإجباري الذى فرضه القذافي متحديا لأعرافنا، وتاريخنا ومشاعرنا، ورجولتنا، لقد طرقت باب بيت الطالبات، ففتح لي الباب أحد الجنود الشباب المسلحين بداخل العمارة، فقلت له أنا محمد بن غليون، وإنّ شقيقتي محتجزة في هذا المكان، وجئت لهذه العمارة لإخراجها والعودة بها إلى بيت أهلها، وتسريح جميع البنات المحتجزات داخل هذه العمارة، ليَعدن إلى بيوتهن. سخرمني أولئك الجند الشباب، وأوصدوا الباب الزجاجي، في وجهي، حينها هرعت الى سيارتي، وقد أظلمت الدنيا، في وجهي، وانتابني غضب جامح، وفتحت مؤخرة سيارتي حيث احتفظ ببندقية صيد (مقرون) وعدت الى العمارة وأفرغت عيارات البندقيّة صوب الباب، واستقليت سيارتي، وعدت إلى بيتنا تسبب إطلاق هذين العيارين في قتل المرحوم محمد حسين عبدالباقي الدرسي، لم تكن بيني وبين الجندي القتيل أيّ عداوة أو خلاف ولم أره في حياتي، وتلك الرصاصات التى اطلقتها قد تقتل أيّ جندي اخر يقوم بحراسة ذلك المكان لم أكن

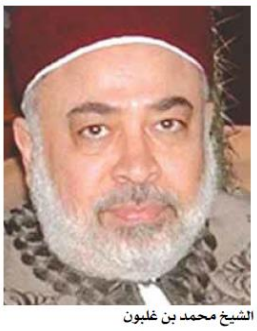

الشيخ محمد بن غلبون

الشيخ عبد الكريم الخزعلي

أ. سمير بن علي

قصد المرحوم محمد حسين الدرسي، بالذات. كان الغرض من إطلاق النار إخلاء سبيل شقيقتي وبقية البنات المُجندات، وصرخة رفض، وإحتجاج على القرارات الجائرة التعسفية المستهترة التى يمارسها القذافي ضد أبناء، وبنات شعبه، وأضاف الحاج احمد ابزيو، لقد واصل الشيخ بن غلبون حديثه قائلا، لقد إحتفظت بهذه الحادثة سنوات عديدة، وكنت على إستعداد، لفتح هذه القضيّة مع عائلة المرحوم، وأنه لم يمنعني من الإتصال بآل المرحوم حتى وقتنا هذا وتقديم الإعتذار اللازم ودفع ديّة القتل غير المتعمد المتعارف عليها، في مجتمعنا إلا يقيني من أن نظام الملازم المعتوه وأجهزته الأمنيّة سيستعملون هذه القضيّة للاحقتي عن طريق الشرطة الدوليّة، بتهمة الإرهاب والهروب، وهذه الأساليب الخسيسة كان يتفنن فيها ذلك النظام العفن لتشويه كل من يعارضه، ويتصدى له، والشواهد على ذلك كثيرة، وما أن قامت ثورة فبراير المجيدة وزال العائق الذى كان سدا دون ذلك حتى صارت قضيّة الإتصال بعائلة المرحوم محمد حسين الدرسي أهم أولويّاتي، لأداء حقوق الله وجبر الضرر الذى لحقّ، بعائلة المرحوم محمد حسين عبدالباقي الدرسي، وبتوفيق من الله إهتديت الى السيد سميريونس بن علي أحد أبناء قبيلة الدرسة الكرام، وعرضت عليه القضيّة، بكل تفاصيلها الدقيقة، والتى طال أمدها وحان وقت التعامل معها بما يرضي الله وأهل المرحوم، وطلبت منه أن يقوم بدور المصالحة بيني، وبين عائلة المرحوم إن إستطاع الي ذلك سبيلا. إستمع السيد سمير بن علي جيدا، ووافق على الفور دون تردد، وقال إنه يسعدني، أن ابذل كل ما يوسعي من أجل إتمام هذا الصلح الذى اعتبره، في هذا الوقت العصيب يخدم مصلحة بلادنا.

إتصلت من لندن بالخال العزيز سميربن علي، في مدينة مانشيستر هاتفيا بعد سماعي، لهذه الحكايّة من عدة مصادر، وسألته عن دوره في هذا الصلح النبيل، فأجابني بأدبه الجم قائلا:

بذلت ما وفقني الله له، فعندما وصلت بنغازي إتصلت على الفور بعمي عيسى بن علي وفاتحته بسبب زيارتي، فرحب بذلك، وأشار إلي بالإستعانة بمشورة وعون إبن عمنا السيد محمد معيوف الدرسي فسافرنا الى بمدينة البيضاء مقر سكناه، ومن هناك ذهب ثلاثتنا الى السيد فرج حسين عبدالباقي الشقيق الأكبر للمرحوم، في منطقة الوسيطة وكان ذلك يوم الخميس 29 ديسمبر الماضي، ومن حسن الطالع وعناية الله أنّ بداية الصلح كانت مع ذلك الرجل الحكيم، والذى كان من أولياء الدم، لمحاولة إتمام هذا الصلح، لحسن تدبيره، وسداد رأيه، وأضاف السيد سميربن علي قائلا لي خلال هذه المكالمة. كانت المهمة صعبة، وماكانت تصل لنهايتها الحميدة لولا تدخل أهل الحكمة والمروءة من أمثال الشيخ عبدالكريم عبدالغني الخزعلي أحد الكرام من أبناء قبيلة البراعصة، فالشيخ عبدالكريم الخزعلي مشهود له بحكمته وحسن تدبيره، وحبه لفعل الخير والإصلاح بين الناس، ويضيف سمير بن علي قائلا: تأزمت المفاوضات، وأوشكت على الفشل، فاقترح عليّ إبن عمّي المحامي اشرف رمضان بن علي الإستعانة بالشيخ عبدالكريم الخزعلي لِلما له من باعه طويل، في حَلّ مثل هذه المشاكل الكبيرة، وما أن طرقنا بابه وفاتحنا الشيخ عبدالكريم الخزعلي، بملف، وخلفيات هذه القضيّة الكبيرة، والقديمة، بكل وقائعها، وما أنْ أيقن الشيخ عبدالكريم الخزعلي أنني مُكلف من قبل الشيخ محمد بن غلبون، لقفل هذا الملف، بالطرق الشرعيّة، والأعراف السائدة، إبتغاء مرضاة الله، وإرضاء عائلة المرحوم.

بادرالشيخ عبدالكريم الخزعلي، بالقول انّ ((الرّاجل اللي صبّا، لسيدي ادريس في غربته، وزوجته الملكة فاطكة رحمهما الله منذ عام 1981 م من حقه علينا «انصبو»معاه وماتتكتيش علينا انه ماعندش حَدّ هنا فى البيضاء، ولذا أُعلن من هذه الساعة أنّ الشيخ محمد بن غلبون برعصي، وانه « خُويا »، ومن أجل الخير، والوئام فأنا من سيمثله، في مجلس الصلح مع إخوتنا الكرام أبناء قبيلة الدرسة)).

ساهم، في هذا الصلح ثلة من وجهاء وشيوخ قبائل مدينة البيضاء من أمثال الشيخ حمد اسويري الدرسي والسيد بن علي سيف النصر البرعصي.

سَخّر الشيخ عبدالكريم الخزعلي مكانته الإجتماعيّة، من أجل القيام بهذا الصلح، وإتمامه وفقا للأعراف والتقاليد المتعارف عليها، والمتبعة في مثل هذه الظروف مستعينا، بنخبة من الخيّرين أهل المروءة والشهامة من أبناء المنطقة، لكي يُرضي جميع الأطراف، ويُطيّب النفوس، ويهدئ الخواطر، ويُفوت الفرص على من يسعون لبث الفتنة والفرقة والشقاق من « عوالة الشر «فأستطاع، بحنكته وصفاء سريرته أن يتوصل الى توقيع سند صلح مع عائلة المرحوم بتاريخ 9 ربيع اول 1433 هجري الموافق 1 فبراير 2012 م، وقد وقتع ثمانية عشر رجلا من قبيلة الدرسة من بينهم إخوة المرحوم الأربع، وأربعة، وعشرون رجلا من قبيلة البراعصة من بينهم الشيخ عبدالكريم، وإبنه عبد الغني الخزعلي، وكذلك الشيخ بن علي سيف النصر، والشيخ جاد الله صالح، وبعد الصلح ودفع الديّة وتوقيع سند الصلح، وتسجيله في المجلس المحلي، ومحكمة البيضاء، بجهود الأستاذ أشرف رمضان بن علي. تحدث السيد فرج حسين عبدالباقي، شقيق المرحوم محمد، وقال للسيد سمير بن علي« قول لِـ بن غلبون الله يسامحك دنيا، وآخرة ».

لو بحثنا، وأمعنّا في ما حدث بعد إنقلاب سبتمبر 69 م منْ ويلات وخراب وسجون وقتل وإغتصاب وإعتداءات صارخة لحقت، بالإنسان الليبي حتى يومنا هذا، فإنّ أصابع الإتهام تتجه مباشرة، بالدليل القاطع الى الملازم المعتوه، فالملازم الشّاذ تماهى مع فرعون.

نعود بحضراتك الى الملازم ثاني صباح التى أُسرت فى انشاد وزميلاتها اللاتي تم سبيهن وبيعهن في اسواق الرقيق. كانت تلك بدايّة تكسير(إخشوم الرجال)، وإذلال (الشنابات الكبيرة) التى وقف عليها الصقر الوحيد، وبيّة اليوم وخفافيش الفاحشة!!.

إستطاع الملازم الحقود أن يُدخل، للقوات المسلحة عشرات الالاف من بناتنا (غصبًا عن إرادتنا) لم نحتج، ولم ندافع عن شرفنا، ولم نقاوم، فأطمعناه وأستخف بنا أكثر.

بعد أن حقق الملازم اللعين مبتغاه إبتكر بدعة جديدة لم يسبقه احدا اليها، فصار يذهب الى الأعراس النسائيّة، بدون دعوة، وقبل وصوله الى بيت العرس تسبقه لجانه الثوريّة، و(قواداته من الراهبات)، وبالأوامر الصارمة يطلب من الرجال أهل الفرح مغادرة بيوتهم، ويسير بيت العرس، للنساء، والقائد فقط، وما أن يُطرد أصحاب البيت، والفرح، يأتي الملازم الشّاذ لبيت العرس وسط الزغاريد، والهتافات الثوريّة، والبخور ثم ((يتصدر)) الملازم العفن، بجوار العروس مُسلطا عيونه الشبقة نحو النساء، حالما ((يحصاد اخر الليل)) فسيئة الحظ من أعطاها الله مسحة جمال، وقبل أن يغادر المكان يمسح بيده النجسة رأس من هَمّ بها، فتستكمل (القوادات الراهبات) بقيّة المهمة القذرة ترغيبنا أو ترهيبا، وأثناء خروجه وسط رديح الراهبات تختتم مراسيم زيارة العهر، للعاهر الملازم بإهزوجة إزدراء، لكل رجال ليبيا مطلعها.

سلمْ رَاجلك يا صفيّه.. خَلى الرّاجلْ كَنِ الوليّه

حدث كل ذلك في كثير من المدن الليبيّة، نعم للمرة الألف، لقد إستخفنا جميعًا، فأطعناه؛ ورحم الله من قال: كُلنا يُولد بكرامته لكن القليل منّا يموت بها.

تناقلت وكالات الأنباء إشاعة خبر عن وفاة المخلوع فرعون مصر حسني مبارك، فلا شماتة في الموت وليس عندى ما أقوله سوى البقاء لله والمجلس العسكري المصرى ومجلسنا الإنتقالي.

أيها الأحبة معذرة، للإطالة.. إذا كان في العمر بقيّة، فللحديث بقيّة

فتح الله ابزيو